

"في التسليم للعترة الطاهرة"

الاستراتيجيات اللغوية المضمرة في الخطاب الوعظي
للإمام الحسن العسكري عليه السلام

The Implicit Linguistic Strategies in the Preaching
Speech of Imam Al-Hasan Al-Askari(Peace Be Upon Him)

أ.م.د. محمد حسين مهاوي

Assit. Prof. Dr. Muhammad Hussain Mahawi

العراق / كلية الإمام الكاظم عليه السلام الجامعة / قسم اللغة العربية

Iraq / Al-Imam Al-Kadhim University College/ Department of
Arabic.

Mohalwadh1981@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي
Turnitin - passed research

مُلخَصُ البَحْث:

يحاول هذا البحث اجترح عدد من استراتيجيات الخطاب الجديدة المضمرة في الخطاب الوعظي للإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وذلك بانتخاب جملة من الأحاديث الوعظية والارشادية والتربوية، تُقرأ وتُصنَّف على وفق معايير استراتيجيات الخطاب، ولعل أبرز تلك الاستراتيجيات المجترحة:

الاستراتيجية الجزائية، والاستراتيجية التفاضلية، وغيرهما وقد اجترحت هذه التسميات بناء على سياقات الأحاديث وأهدافها وأشكالها اللغوية كما ميّنت في البحث. ويتألف البحث من مقدمة وقسمين، نظري تأسيسي يتناول مداخل مفاهيمية نظيرية عامة، وآخر إجرائي يتعلق بتصنيف الاستراتيجيات الجديدة وناذجها الإجرائية وأبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: الاستراتيجيات، المضمرة، الخطاب.

Abstract :

This research attempts to propose new discourse strategies embedded in the preaching discourse of Imam Hassan Al-Askari through a number of hadiths in preaching and religious guidance, read and classified according to the standards of discourse strategies. Among the most prominent strategies are:

The retributive and referential strategies are suggested based on their social contexts, objectives, and linguistic forms, as shown in this study.

This paper consists of an introduction and two parts, a theoretical one deals with general concepts and the other one is procedural related to evidences and models of new strategies.

Keywords: strategies, implicit , discourse.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه النبي الأمين وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين، أما بعد فد(الاستراتيجيات اللغوية المضمرة في الخطاب الوعظي للإمام العسكري عليه السلام محاولةٌ فهمٌ جديدةٌ للخطاب الديني الوعظي يحاول الباحث أن يقرأ فيه تراث أهل البيت عليهم السلام، وتحديدًا تراث الإمام الحادي عشر الحسن بن علي عليه السلام، قراءةً في ضوء استراتيجيات الخطاب؛ إذ تتعدّد أساليب الأحاديث الوعظية لدى إئمة أهل البيت عليهم السلام، والإمام العسكري تحديدًا بوصف خطابه يتصل بالفكر والمنهج نفسيهما عند عموم الائمة المعصومين عليهم السلام، مع ملاحظة اختلاف الزمان والمكان، وتباين كل عصر، وما تحيط به من ظروف اجتماعية وسياسية ودينية، وإزاء هذه المتغيرات يلحظ من يطلع على تركة الإمام العسكري عليه السلام من أحاديث أنها تتخذ أشكالاً لغويةً متعددةً في الصياغات بين أساليب خبرية أو إنشائية، بحيث يمكن تصنيفها وفق سياقات اجتماعية متعددة، تفرضا طبيعة العملية التخاطبية، وأغراض الخطاب ومقاصده بين أطراف الخطاب المرسل والمرسل إليه، فالأشكال اللغوية التي صيغت فيها المقولات العسكرية الوعظية تكشف عن مراعاة الحالة التنظيمية للخطاب، وإحكام البنية اللغوية؛ مما دعا الباحث إلى أن ينتهج في البحث فكرة مغايرة يحاول من طريقها اجترار عددٍ من الاستراتيجيات، بحسب ما تقتضيه قواعد التصنيف التي تراعي في طريقة إنتاج الاستراتيجيات ثلاثة معايير عامة: معيار اجتماعي، وهو معيار العلاقات التخاطبية، ومعيار لغوي، وهو معيار شكل لغة الخطاب، ومعيار ثالث هو معيار هدف الخطاب؛ ولعل من بين أبرز الأسباب التي دعت الباحث إلى هذا البحث اقتصار الدراسات التي تتعلق باستراتيجيات الخطاب بالجانب الإجرائي على نماذج الاستراتيجيات القارة وتغيير أنموذج

الدراسة التطبيقية؛ لذا استدعت الفكرة أن يكون هذا البحث دراسة اجترافية تأسيسية تستنبط استراتيجيات جديدة واقتراح المسوغات المناسبة لكل استراتيجية جديدة مجترحة فضلاً عن الإشارة إلى مرتكزات التحليل والقراءة لمن يرغب بتوسيع النمذجة على الاستراتيجيات الجديدة التي صنفت على وفق معايير التصنيف ونوع الخطاب المستهدف؛ لذا أثر البحث أن ينتظم على قسمين: الأول نظري أشرنا فيه إلى مداخل ومفاهيم تنظيرية، تتعلق بمفهوم الاستراتيجية، والخطاب بنحو عام، والخطاب الوعظي على وجه التحديد وسماته التكوينية، والإشارة بإيجاز إلى سيرة الإمام العسكري (عليه السلام)، أما القسم الثاني: فيأخذ شكلين، شكل التصنيف الجديد للاستراتيجيات في الخطاب العسكري (عليه السلام)، وشكل النمذجة على الاستراتيجيات الجديدة ومداخلها التحليلية وملفوظاتها الخطابية ومسوغات كل استراتيجية يمكن أن تلمح إلى الغاية التي بموجبها أجري التصنيف أو الاجتراف الجديد للاستراتيجية كما سيتبين إن شاء الله تعالى.

صعوبات البحث:

- تنوع سياقات الخطاب في الموروث الديني الوعظي للإمام العسكري (عليه السلام)، وما يترتب عليه من تنوع في استنباط أو اجتراف الاستراتيجيات.
- كثرة مادة الحديث وتشتمها في أبواب وروايات متفرقة، والعمل على إعادة تصنيفها وفقاً للمشتركات التي تقتضيها معايير تصنيف الاستراتيجية.
- اختلاف مسوغات كل استراتيجية خطاب في الخطاب الوعظي، وتعدد أهدافها تبعاً لتعدد مكونات الخطاب وأركانه.

خطة البحث:

القسم الأول (مداخل ومفاهيم تنظيرية)

أولاً: في مفهوم الاستراتيجية ومسوغات التصنيف

ثانياً: استراتيجيات الخطاب وضرورات التجديد:

ثالثاً: معايير تصنيف استراتيجيات الخطاب

رابعاً: في الخطاب الوعظي

خامساً: الخطاب الوعظي لدى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام):

- القسم الثاني (اجترار استراتيجيات الخطاب وتصنيفها في الخطاب الوعظي

للإمام العسكري (عليه السلام)

أولاً: الاستراتيجية الجزائية

ثانياً: الاستراتيجية التفاضلية

ثالثاً: الاستراتيجية البيانية

رابعاً: الاستراتيجية الحدية أو المعيارية

القسم الأول: (مفاهيم ومداخل تنظرية)

أولاً: في مفهوم الاستراتيجية ومسوغات التصنيف:

لا يختلف من يقف عند لفظة (الاستراتيجية) مُؤصلاً لها على أنها من الألفاظ الوافدة إلى الاستعمال العربي، وأنها تنتمي إلى الحقل العسكري وأدبيات الحرب، وأخذت تتسع مجالات استعمالها لتصل إلى مختلف مجالات الحياة، بيد أن مفهومها من منظور لسانيات الخطاب بات يشير إلى أنها: "مجموع عمليات المعالجة الموجهة إلى هدف، والجارية عن وعي عند انتاج النص وتلقيه" (١) فالاستراتيجية تستهدف في أبعادها مهام تواصلية تُستنبط من التفاعل والمحددات الاجتماعية وأهداف المشاركين من جهة، والوسائل اللغوية وغير اللغوية المراد تحقيقها، وتشكل بنيتها من جهة أخرى. (٢)

ويبرز من جهة اختيار الاستراتيجية سؤال عن العوامل أو المسوغات التي تؤثر في انتخابها، فما تلك العوامل أو المسوغات؟

يرصد المشتغلون على تصنيف الاستراتيجيات عاملين مؤثرين (٣) في استعمال اللغة وتأويلها، وتوجيه المرسل لاختيار استراتيجية الخطاب، وترجيح استراتيجية مقابل استراتيجية أخرى، وهذان العاملان هما: المقاصد والسلطة. بغض النظر عن معايير تصنيف الخطاب.

أما المقاصد فيتركز دورها على بلورة المعنى لدى المرسل، ومراعاة كيفية التعبير عن قصده، واختيار الاستراتيجية المناسبة التي تراعي العناصر السياقية الأخرى؛ لذا تمثل المقاصد لب العملية التواصلية، فلا تواصل من دون وجود قصديّة وراء فعل التواصل؛ إذ غاية قصد المرسل هي إفهام المرسل إليه، ويشترط في المرسل الكفاءة اللغوية في فهم مستويات اللغة المعروفة، ومنها المستوى الدلالي، ومدى

معرفته العلاقة بين الدال والمدلول، والقواعد التركيبية وسياقات الاستعمالات، والمعرفة الإجمالية بالمواضع التي تنظم إنتاج الخطاب بها. فما الاستراتيجية إلا الفهم بالمقاصد اللغوية للخطاب.

ويبرز العامل الآخر (السلطة) بنحو فاعل ورئيس في إنتاج الخطاب ومنحه القوة الانجازية. لذا ثمة من يختزل مفهوم الخطاب بأنه يساوي السلطة نفسها. ويبرز هذا العامل محددًا أساسيًا، في تصنيف استراتيجية دون أخرى، فامتلاك السلطة لدى المرسل من الضرورات أو من الأمور المستحبة، ليجسدها في الخطاب؛ إذ تعتمد تقريبًا على اللغة والأفعال اللغوية أكثر من اعتمادها على القوة المادية.

وفي ضوء فهم وظيفة الاستراتيجية وعوامل إنتاجها التصور يمكن طرح مقولة افتراضية: هل بات العالم بنحو عام، والمجتمعات بنحو خاص بها حاجة إلى صياغة استراتيجيات جديدة تأخذ على عاتقها تحقيق شكّل من التواصل، قائم على مرجعيات ثقافية متنوعة، ومتعددة تُحدِّدها طبيعة الرسالة الاجتماعية، وأفرادها المشاركون في تأليف بنيتها؟ إنه سؤال البحث الذي سنحاول مناقشته تنظيرًا وإجراء إن شاء الله تعالى.

ثانياً: استراتيجيات الخطاب وضرورات التجديد:

لمحنا في الإشارة العامة لمفهوم الاستراتيجية بأن استعملها بات يرتبط بشتى مجالات الحياة، ولعلّ من بينها المجالات الاجتماعية والتعليمية والسياسية والاقتصادية وغيرها، وهذا التعدد يأتي - كما يقول الشهري - تبعًا لتعدد سياقات المجتمع؛ مما يتطلب تنوعًا في الخطاب لتحقيق أهداف الناس ومقاصدهم، ومن هنا يرى أنّ " الحاجة قائمة لاستكشاف هذه الاستراتيجيات، ومعرفة كيفية تطويعها واستعمالها، وتطوير ذوات الناس التخاطبية، بما يواكب متطلبات السياق، وما يكفل

التكيف مع تقلباته" (٤) فهي بذلك تحقق نوعاً من التواصل القائم على التفاهات المشتركة بين المخاطبين وقنوات اتصاّهم، مما جعل الخطاب متنوعاً أيضاً تبعاً لتلك الاستراتيجيات، ولا يتعد عن المفهومين الآتين: (٥)

أحدهما قصدي: يتعلق باللفظ الموجه إلى الآخر بقصد الإفهام

والآخر شكلي: يتعلق بالشكل اللغوي الذي يفوق حدود الجملة

ويكون النظر إلى الخطاب في ظل هذا التقابل من زاويتين: إمّا النظر إليه بوصفه حدثاً تواصلياً منتجاً في ظل ظروف تواصلية معينة، وإما النظر إليه بوصفه وحداتٍ أو ملفوظاتٍ كلاميةٍ أو كتلاً نصية تتجاوز حدود الجملة، غير أنّ الخطاب إذا كان بطبيعته تركيبياً أشمل من الجملة، لا يعني بالضرورة أنه تتابع لمجموعة كلمات شكلية، تنتظم ببنية أكبر من الجملة، بل هو استعمال آخر لبنى غير تلك المشار إليها في مستوى الجملة، فقد يصح (المثل) بحدوده الشكلية التي لا يتجاوز بناء الجملة أن يكون خطاباً؛ لكونه وحدة مكتملة تراعى فيها قواعد التنظيم في مستوى الخطاب عن تلك التي نجدها في الجملة. (٦) فمن منظور تحليل الخطاب وأبعاده الإجرائية تراعى العملية الإرسالية والتخاطبية بين أطراف الخطاب، ومكوناته: (المرسل - المرسل إليه - المرجع - القناة - الرسالة)؛ إذ تتحكم بالخطاب جملة قرائن وظروف سياقية خارجية، تتجاوز قواعد التحليل اللساني لبنية الخطاب الداخلية (الصوتية، والصرفية والتركيبية، والدلالية) فلا فرق أن يكون الخطاب رسالة أو جملة محكية أو مكتوبة، فَرُبَّ كلمةٍ واحدةٍ تقال في سياقٍ تعجُّبي أو إدهاشي تختصر أقوالاً كثيرة. (٧)

ثالثاً: معايير تصنيف استراتيجيات الخطاب:

ثمة ثلاثة معايير لتصنيف استراتيجيات الخطاب حددها الشهري تتمثل بالآتي^(٨):

أولاً: معيار العلاقة بين طرفي الخطاب (معياري اجتماعي):

ثانياً: معيار لغوي، وهو معيار شكل لغة الخطاب.

ثالثاً: هو معيار هدف الخطاب.

يعد معيار العلاقة التخاطبية بين أطراف الخطاب من أهم معايير تصنيف الاستراتيجية لكونه يقارب ويباعد يدني ويعلي، وبه تصنف بعض الاستراتيجيات ذات المستويات المتقاربة والمتخادمة بين المرسل والمرسل إليه، ومنها ما اصطحح عليها بـ(الاستراتيجية التضامنية)؛ ففيها يصبح طرفا الخطاب كأنهما أقران، ولهذا الاستراتيجية أدوات لغوية كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر، الأدوات الإشارية اللغوية التي تقرب البعيد أو تقترب منه، وتجمع الأطراف التخاطبية. وتحت هذا المعيار قد تندرج استراتيجية أخرى ألا وهي (الاستراتيجية التوجيهية) التي تتجسد من خلال آليات صريحة تسهم في توجيه المرسل للمرسل إليه، مثل: أساليب الأمر والنهي الصريحين، والتحذير، والإغراء، وذكر عاقبة الأمور.

أما المعيار الثاني فهو معيار دلالة الشكل اللغوي، ولا تخلو أن تكون الدلالة واحدة من أمرين، إما أن يراد بها قصد مباشر، أي إنَّ القصد يتضح في الخطاب مباشرة، وإمّا أن يراد بها قصد غير مباشر، ويكون المعنى مستلزماً من شكل الخطاب، فقد يستخدم المرسل شكلاً ما بقصد تبطين مقاصده ومعانيه، ويرمي من خلاله إلى أمور يتدخل سياق الخطاب في كشفها وتحديدها، ويمكن أن نصلح على هذا الضرب من الاستراتيجيات بـ(الاستراتيجية التلميحية).

وفي معيار الهدف من الخطاب يبرز المعيار الثالث لتصنيف الاستراتيجيات بشقيّه: المكتوب والشفهيّ، لتجسيد الهدف من هذا المعيار، ويعدُّ الهدف الإقناعي واحداً من أهم الأهداف التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها، وعليه صُنفت (استراتيجية الإقناع)، انطلاقاً من أن المرسل يتوخّاها لتحقيق مآرب كثيرة، مستعملاً وسائل وآليات لغوية مختلفة، منها ما يخاطب العواطف، ومنها ما يتعامل مع عقل المرسل إليه، مثل الآليات الحجاجية التي يمكنه من طريق البراعة فيها أن يتخذ الأقوال أدلة تساق أمام المرسل إليه حتى يقنعه دون تلاعب بعواطفه، أو التغيرير به، ويوظّف لها عمليات شبه منطقية متمثلة باللغة الطبيعية.

وفي ضوء هذه المعايير سنحاول اجترّاح عدد من الاستراتيجيات المضمرة في الخطاب الوعظي للإمام العسكري (عليه السلام)، بعد العرض لمداخل مفهومية تتعلق بطبيعة هذا الخطاب وسماته ومرتكزاته.

رابعاً: في الخطاب الوعظي:

أشرنا إلى مفهوم الخطاب سلفاً، وبيننا أن الخطاب يرتبط بمقاصد توجيهية بين طرفي الخطاب المرسل والمرسل إليه بناء على قرائن سياقية لغوية وغير لغوية؛ لذلك وُصف الخطاب بأنه: "الصيغة التي نختارها لتوصيل أفكارنا إلى الآخرين، والصيغة التي نتلقى بها أفكارهم" (٩) بمعنى أن هناك توجُّهاً مقصدياً تأثيرياً من المرسل يستهدف به المرسل إليه لحملة على التفاعل مع مقصديته. وفقاً لسياقات متنوعة اجتماعية أو سياسية أو دينية تفرّضها طبيعة شكل الخطاب ونمطه. والخطاب الوعظي نسق خطابي له سياقاته اللغوية الكاشفة عن بنيته ودلالته، ولا بد من تمهيد مدخلي للفظ (الوعظ) لغة واصطلاحاً؛ لبيان خصائص هذا الخطاب وطبيعة مكوناته.

فالوعظ لغة: " هو التذكير في الخير بما يُرَقِّق القلب (١٠) و"الوعظ: النصح والتذكير بالعواقب. والاتعاط: قبول الموعظة . يُقال: السعيد من وعظ بغيره والشقي من به أتعظ" (١١)

أما في المفهوم الاصطلاحي فلم يتعد المدلول الاصطلاحي للوعظ كثيرا عن المدلول اللغوي؛ فهو "زجر مقترن بتخويف، والتفكير بالخير بما يرق له القلب" (١٢) وفي رؤية أسلوية يذهب الدكتور عبد السلام المسدي إلى أن الخطاب الوعظي خطاب ينتمي إلى الانفعال والاشتغال على العاطفة الدينية لدى الناس؛ إذ يقول: " خطاب حامل للعواطف والخلجات، وكلّ الانفعالات، فهو خطاب مشحون وانفعالي يتجه إلى القلب ليستدعي انفعالاته؛ ممّا جعل هذا الخطاب ينمو ويتطور صوب تنمية الوسائل والسبل لإيقاد العاطفة الدينية عند الإنسان" (١٣) ولا يمكن فهم - ما أراده المسدي بوصفه الخطاب الوعظي بأنه خطاب انفعالي - على أنه خطاب مضطرب أو أنه يتعد عن الأسس العقلية لأصول الخطاب، بل إن وصفه بالانفعالي مُسوِّغ لبشريّة الخطاب ونزعتة الإنسانية؛ إذ دونك الخطاب القرآني، فهو خطاب حافل بالوعظ والنصح والإرشاد، وكذلك خطاب النبي وأهل البيه (عليهم السلام) يعد خطابا يتداعى إليه الإنسان بالتأثر والعاطفة والنزعة الوجدانية، وللموعظة تجليات روحية وقلبية وإرشادية، تترك أثرها في نفوس المتلقين؛ إذ تعمل على غرس المحبة والمودة في قلوب المدعوين، ومحاصرة المنكرات والقضاء على انتشارها، وهذا منهج قرآني رسمه الدين الإسلامي؛ إذ يقول الله تعالى (أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) سورة النحل: آية ١٢٥ .

فالدعوة بالحكمة خطاب يعمل على الإقناع بالحجج والادلة، أما الموعظة الحسنة فهي استئالة القلوب بالترغيب أو التهيب. (١٤) فالخطاب الوعظي نسق في الخطاب

الديني وفرع منه، وهذا الأخير يتأسس على ثنائيات أساسية مغروسة بعمق في طبيعة الإنسان، وهي: "ثنائية الإنسان والغيب" و"ثنائية الدنيا والآخرة"، و"ثنائية الروح والجسد" وهذه الثنائيات متى كانت مرتكزة على توازنات متصلة ومتناغمة تكون قوة فاعلة في صناعة المصير، وفي حال كانت منفصلة ومتصارعة يحلّ الشقاء والاغتراب.^(١٥) ولعلّ فاعلية الموعظة الدينية وقوة تأثيرها تستمد بلاغتها من ارتباطها بمقام تحاطبي يوضع فيه المُخاطَب موضع الغافل المقصر فيما يجب عليه، ولا يكون ذلك على توجّه من المُخاطَب لإقناع المُخاطَب بأنه منكر لدعواه، بل على تذكيره بها؛ لأنّه غفل عنها وقصر بالعمل فيها، فهو حمل للمُخاطَب على للانتقال من موضع الغفلة والتقصير، إلى أداء الواجب المنوط به، وهذا يتحقق بنحو عملي، وذلك بصيرورة المُخاطَب من الإيمان القلبي إلى واقع الممارسة الفعلية^(١٦)

خامسا: الخطاب الوعظي لدى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام):

قبيل الشروع في تصنيف استراتيجيات الخطاب الوعظي لدى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) لا بدّ من توطئة مختصرة عن سيرة الإمام (عليه السلام) وتراثه الديني، والمعرفي ومنزلته العظيمة في الشريعة الإسلامية بوصفه الإمام المعصوم الحادي عشر بين أئمة أهل البيت الاثني عشرية (عليه السلام)، وهو ابن الإمام علي الهادي (عليه السلام) الذي ينتهي نسبهم الى أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، وهو ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، من طريق جدته السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، ولد الإمام العسكري (عليه السلام) بالمدينة سنة ٢٣٢ من الهجرة، واستشهد ودفن بسامراء مع أبيه سنة ٢٦٠، أي إنه عاش ثمانية وعشرين عاما، ورغم مدة امامته القصيرة لكن الامام الحسن العسكري (عليه السلام) تصدّى وبكل قوة كما فعل آباؤه الأبطال (عليه السلام) بعددهم حماة الرسالة والعقيدة الاسلامية، تصدى للفرق الضالة في عصره الشريف تاركا تراثاً أخلاقياً وفقهياً يستحق الوقوف عنده.^(١٧)

وقد اعتمدنا على مجموعة من الأحاديث الوعظية المجموعة في كتاب مسند الإمام العسكري أبي محمد الحسن بن علي (عليه السلام) للشيخ عزيز الله العطاردي، مادة للقراءة الإجرائية والتحليل لبيان استراتيجيات الخطاب المضرة.

القسم الثاني:

اجتراح استراتيجيات الخطاب وتصنيفها في الخطاب الوعظي للإمام العسكري (عليه السلام)
أولاً: الاستراتيجية الجزائية:

هي استراتيجية لغوية تُنظَّم الحالة التخاطبية بين أطراف الخطاب وعناصره، وتحمل المخاطبين على التفاعل معها من طريق ما تتوافر في بنيتها من فرص متكافئة، ترغيباً أو ترهيباً للحث على ترك المحذورات والالتزام بالأوامر. وتقوم هذه الاستراتيجية على أسلوب الشرط بوصفه أسلوباً تخاطبياً توصلياً يفترض وجود متكلمٍ وسامعٍ أو مُحاطَبٍ ومُحاطَبٍ، ولا يقتصر على مجرد جملة شرطية قائمة على أداة الشرط وفعل الشرط والجزاء، بل يتجاوز شكله اللساني المحدد إلى التخاطب والتواصل، مع الأخذ بنظر الاعتبار الموقف التخاطبي، وسياقه الاجتماعي^(١٨) فعلى سبيل المقاربة والتدليل على هذه الاستراتيجية نأخذ شاهداً حديثاً للإمام الحسن العسكري ع: "من مَدَحَ غيرَ المُستحقِّ، فَقَدْ قَامَ مَقَامَ المُتَّهَمِ". يُقدِّمُ الإمامُ في هذا الخطاب الوعظي توجيهاً مقاصدياً تنبني فيه رؤية الحديث على أن المدح مدحان: مَدْحٌ مُستحقٍّ، وآخر غير مستحقٍّ، ليقف عند الأخير مقام التشكيك والاثِّام؛ لما ينبني عليه منطوق الخطاب المدحي داخلياً من كذبٍ، وتشويهٍ للممدوح على غير حقيقة، فالخطاب يحمل مقصدين في إنتاجه، أحدهما خاصٌّ مباشرٌ يُعرِّضُ بالمدح الكذب ويتهمه، وآخر عام لعموم المستهدفين من الخطاب كي لا يؤسس إلى ما يمكن تسميته بالخطاب المظنون أو المتهم ممَّا يؤدي إلى ضرر مجتمعي يُغلِّفُ البنية المجتمعية بالتشويه والتزيف ويتحوَّل

إلى سياقٍ عام ومباح؛ إذ بفعل حركية الزمن الشرطي أضحى الخطاب خطاباً استغراقياً مفتوحاً قابلاً للتأويل بحسب قيد زمن تحققه.

وهذا الحديث يأتي في سلسلة عددٍ من أحاديث الإمام العسكري (عليه السلام) الوعظية قائمة على الاستراتيجية الجزائية، وجدير بالذكر أن هذه الاستراتيجية - شأنها شأن أي استراتيجية أخرى - مُسوَّغاتٍ تعزز أهمية توظيفها في الخطاب الوعظي كما سيبتين إن شاء الله تعالى.

مسوغات الاستراتيجية الجزائية:

- لعل ما يدعو المرسل إلى انتهاج هذه الاستراتيجية عدة مسوغات:
- فاعلية هذه الاستراتيجية وتماسكها؛ لكونها تستمدُّ قوتها من النص القرآني، وتعاليم السنة النبوية المباركة؛ إذ إنَّ منهج الجزاء والمكافأة منهج قرآني.
- حمل المخاطبين على الانتهاء عن المحذورات والمحرمات والالتزام بالأوامر.
- ترسيخ العظة في نفوس المخاطبين بوصفها أسلوباً إرشادياً يناغم القلوب، سواء كان ذلك عن طريق الترغيب أو التهيب.
- بناء واقع المجتمعات وتنميتها تنمية صالحة من طريق الإفادة من التجارب الإنسانية والأخلاقية النافعة.

- استراتيجية تنظيمية توظف في نفوس المخاطبين قوَّة الضمير، وتُفَعِّل الرقابة الداخلية لديهم بوصفها منهجاً حياتياً منظماً.

فمن نماذج هذه الاستراتيجية ما ورد من جملة أحاديث:

قال الإمام العسكري (عليه السلام): "مَنْ رَكِبَ ظَهَرَ الْبَاطِلِ نَزَلَ بِهِ دَارَ النَّدَامَةِ". (١٩)

قال الإمام العسكري (عليه السلام): "مَنْ مَدَحَ غَيْرَ الْمُسْتَحَقِّ فَقَدْ قَامَ مَقَامَ الْمُتَّهِمِ". (٢٠)

قال الإمام العسكري (عليه السلام): "مَنْ كَانَ الْوَرَعُ سَجِيَّتَهُ، وَالْإِفْضَالُ حُلِيَّتَهُ أَنْتَصَرَ مِنْ

أَعْدَائِهِ بِحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَتَحَصَّنَ بِالذِّكْرِ الْجَمِيلِ مِنْ وُصُولِ نَقْصِ إِلَيْهِ " (٢١).

قال الإمام العسكري (عليه السلام): "مَنْ لَمْ يَتَّقِ وَجْهَ النَّاسِ لَمْ يَتَّقِ اللَّهَ" (٢٢).

قال الإمام العسكري (عليه السلام): "مَنْ أَنَسَ بِاللَّهِ اسْتَوْحَشَ النَّاسَ، وَعَلَامَةُ الْأُنْسِ بِاللَّهِ

الْوَحْشَةُ مِنَ النَّاسِ" (٢٣)

قال الإمام العسكري (عليه السلام): "مَنْ خَرَجَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا أَعْمَى فَهَوِيَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى

وَأَصْلُ سَبِيلًا" (٢٤).

قال الإمام العسكري (عليه السلام): "مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرًّا فَقَدْ زَانَهُ. وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ

شَانَهُ" (٢٥).

قال الإمام العسكري (عليه السلام): "مَنْ سَأَلَ آيَةً أَوْ بُرْهَانًا فَأُعْطِيَ ثُمَّ رَجَعَ عَمَّنْ طَلَبَ

مِنْهُ الْآيَةَ، عُدْبَ ضِعْفِ الْعَذَابِ. وَمَنْ صَبَرَ أُعْطِيَ التَّائِيدَ مِنَ اللَّهِ، وَالنَّاسُ مَجْبُولُونَ

عَلَى جِبِلَّةِ الْكُتُبِ الْمُنْشَرَةِ فَاسْأَلِ السَّدَادَ، فَإِنَّمَا هُوَ التَّسْلِيمُ أَوْ الْعَطْبُ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ

الْأُمُورِ" (٢٦)

قال الإمام العسكري (عليه السلام): "مَنْ رَضِيَ بِدُونِ الشَّرَفِ مِنَ الْمَجْلِسِ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ

وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يَقُومَ" (٢٧).

ملفوظات هذه الاستراتيجية:

(من ركب ... نزل) (من مدح ... فقد...) (من كان ... انتصر) (من لم يتق ...

لم يتق ...) (من أنس ... استوحش) (من خرج ... فهو...) (من وعظ ... فقد ...)

(من سأل ... عذب) (من صبر ... أعطي...) (من رضي ... لم يزل)

ويمكن أن يلاحظ على الملفوظات الشرطية جملة معطيات تحليلية تسهم في قراءة

هذه الاستراتيجية:

- استعمال أداة الشرط الاسمية (مَنْ) للإشارة إلى طرفي الخطاب في الآن نفسه،

فمرة تشير إلى المرسل بوصفه منتج المقولة أو الحديث، ومرة إلى المرسل إليه بوصفه المصداق المفترض أو الحامل لمفهوم المقولة بالمنظور الذهني أو الخارجي.

- حركية الزمن السياقي لأسلوب الشرط، فالملاحظ على سياق الزمن الصرفي العام هو الماضي، غير أن هذه الماضوية بلحاظ التحقق أو الوقوع لا يمكن البت بها، وتبقى قيد زمن افتراضي مستقبلي، وهذا ما يجعل الفضاء التأويلي للتحليل مفتوحاً.

- خطاب الشرط خطاب استغراقي مطلق مفتوح يوافق فحوى الاستراتيجية ومُسوغاتها.

ثانياً: الاستراتيجية التفاضلية:

هذه الاستراتيجية تقوم على المفاضلة أو الترجيح أو المغالبة في إطلاق أحكام أو توصيفات تكاملية رجحت عند المرسل بفعل خلاصة تجربته الإنسانية التي تمثل لدى منتج النص عين الحكمة، والمصداق الأصلح في الترجيح؛ مما يجعلها أكثر قبولاً لدى المخاطبين؛ معتمدة على بنية اسم التفضيل (أفعل) وهذه البنية تفترض حالة مفاضلة بين طرفين في صفة من الصفات يرجح أحدهما على الآخر، وبعبارة بعض النحويين: "هو الوصف المصوغ على أفعل دالاً على زيادته في محل بالنسبة إلى محل آخر" (٢٨) فأفعل التفضيل (٢٩) أو صيغة المفاضلة (٣٠) قائمة على المشاركة والزيادة (٣١) وتمثل البنية اللغوية لهذه الاستراتيجية، فالزيادة التفاضلية في الصفات هي المعطى الذي تجعل المرجوح في هذه الاستراتيجية محل قبول لدى الآخر، فعلى سبيل التذليل على فاعليتها قول الإمام العسكري عليه السلام (أشدُّ النَّاسِ اجْتِهَادًا مَنْ تَرَكَ الذُّنُوبَ). فالاجتهاد في مدلوله اللغوي العام مأخوذ من الجهد، ويعني المسقّة والتعب، وهو ما جهد الإنسان من مرضٍ أو أمرٍ شاقٍّ، فهو مجهود (٣٢) دلالاته صوّراً مختلفة من المدلولات تتعدّد بحسب الابتلاءات، وما يواجه الإنسان من مشقّات، فهادامت

الدُّنيا محلَّ اجتهادٍ دائمٍ، فلا ينفكُّ الإنسان أن يعاني ويكابد مصاعب الحياة، ليأتي الإمام (عليه السلام) في مقولته هذه، ويخصِّصُ من هُوَ أشدَّ المجتهدين وهو القادر على: (ترك الذَّنْبِ)، فجعل الأشدَّ لما هو أشدُّ! فهل ثَمَّةُ اجتهادٍ ما بعده اجتهادٍ كالذي يجعل الإنسان مقاومًا الغفلة والهوى ومنازعات النفس والعصبية والتحامل وغيرها من مسببات الذنوب؟! فلا بَعْدَ هذه الشدَّةِ شدَّةٌ في المنظور التطبيقي والفعلي، فتُهوين كُُلِّ شدةٍ ومشقةٍ موازنة بشدَّةِ الذنوب أمرٌ عقليٌّ ركَّز عليه الإمام في هذه الاستراتيجية كي يختصر على الإنسان سُبُلَ المقارنات، ويحمله على الالتصاق بما يوافق العقل والوعي من مبادئ تحثُّ على الفضيلة أو تُبعده عمَّا دونها.

مسوغات الاستراتيجية التفاضلية:

- يمكن تثبيت جملة مسوغات وراء تصنيف هذه الاستراتيجية:
- الخطاب الذي يجوي على أفعال التفضيل خطاب تأثيري إقناعي يدفع المتلقي أو المخاطب على اتباع الأفضل أو المرجوح في الخطاب.
 - هذه الاستراتيجية تعمل على صياغة الرتب العليا، وتقدُّمها في التمايز والتوازن بين الصفات أو الأحكام على غيرها ممَّا هو مشترك معها في التفاضل.
 - توفر هذه الاستراتيجية فرص القبول والتفاعل والاختيار لما هو أفضل؛ سواء كان خياراً إيجابياً؛ لحمل المخاطب على اقتفائه والتزامه، أو سلبياً لتجنُّبه والابتعاد عنه. فهي صورة كاشفة للنظر والترجيح.
 - انتهاج هذا النوع من الصياغات لدى الإمام العسكري في مقولاته يعد ضرباً من التخطيط الواعي لرسم المسار الأمثل للحياة؛ لكون هذه الاستراتيجية تحمل فزراً واضحاً للراجع على المرجوح من الصفات التكاملية.

ملفوظات الخطاب ومكوناته في هذه الاستراتيجية:

تألف المملفوظات الخطابية للاستراتيجية التفاضلية من أربعة مكونات (٣٣):
(المخاطب، والمخاطب، والقول "الحديث"، ونتيجة الحديث).

أولاً: المخاطب: يمثل منتج الخطاب أو الحديث أو الموجه له، وعاقده الموازنة مع المخاطب الذي يمثل المفضل في الحديث والمفضول، والمخاطب هو الحكم، والمقرر لهذه الصفة في المخاطب، ومن ثم هو من يؤثر فيه من طريق الحكم عليه بصفة سلبية أو إيجابية، وفي هذا الركن تتجسد شخصية الإمام العسكري عليه السلام.

ثانياً: المخاطب: وهو المتلقي، ومستقبل الحديث، ويمثل العنصر الأبرز في العملية التخاطبية؛ لأنه محور الخطاب أو الحديث للحكم عليه، لذا يعدّ المخاطب منتجاً ثانياً للنص؛ إذ يارس دوراً غير مباشر في جعل المرسل موجهاً للخطاب بحسب وظيفته التبليغية لكي يختار أدواته وصياغة خطابه؛ انطلاقاً من علاقته السابقة ومواقفه منه.

ثالثاً: القول: ويمثل الحديث، ومنظومة لغوية منتجة سابقاً، وتمتاز بثبوت المبنى، وتجدد المعنى ويتكون الحديث الذي على صيغة (أفعل) من ثلاثة أركان أساسية: (المفضل)، و(أفعل التفضيل) و(المفضول).

رابعاً: نتيجة الحديث: الحديث الذي على صيغة (أفعل) عبارة عن حجة المتكلم في وصف المفضل بصفة ما يشارك فيه المفضول، ويعقد موازنة بينهما، وتكون النتيجة واضحة ومحسومة لصالح المفضل.

وتندرج تحت هذه الاستراتيجية جملة أحاديث للإمام العسكري منها (٣٤):

- قال الإمام العسكري عليه السلام: "أشدُّ من يُتَمِّمِ اليَتِيمَ الَّذِي انْقَطَعَ عَنْ أَبِيهِ، يُتَمِّمِ يَتِيمَ انْقَطَعَ عَنْ إِمَامِهِ وَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَ لَا يَدْرِي كَيْفَ حُكْمُهُ فِيمَا يُبْتَلَى بِهِ

مِنْ شَرَائِعِ دِينِهِ".

- قال الإمام العسكري (عليه السلام): "أَضْعَفُ الأَعْدَاءِ كَيْدًا مَنْ أظْهَرَ عَدَاوَتَهُ".

- قال الإمام العسكري (عليه السلام): "خَيْرُ إِخْوَانِكَ مَنْ نَسِيَ ذَنْبَكَ إِلَيْهِ".

- قال الإمام العسكري (عليه السلام): "أَزْهَدُ النَّاسِ مَنْ تَرَكَ الحَرَامَ".

- قال الإمام العسكري (عليه السلام): "أَعْبَدُ النَّاسِ مَنْ أَقَامَ عَلَى الفَرَائِضِ".

- قال الإمام العسكري (عليه السلام): "أَوْرَعُ النَّاسِ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ الشُّبْهَةِ".

- قال الإمام العسكري (عليه السلام): "أَقْلُ النَّاسِ رَاحَةً الحُقُودُ".

ويمكن إيجاز ملفوظات هذه الاستراتيجية ومكوناتها الواردة في الأحاديث

متسلسلة فيما يأتي:

المنتج أو المرسل أو المخاطب هو واحد (شخصية الإمام الحسن العسكري (عليه السلام))

والمُرسل إليه أو المُخاطَب: مستقبل الخطاب وهو كل من يعنيه الخطاب قصدياً:

والقول (الحديث): يتكون:

المفضّل	اسم التفضيل	المفضول
المنتقطع عليه يتم اليتيم (عن أبيه الإمام)	أشد	يتم اليتيم
المظهر لعداوته	أضعف	الأعداء كيدا
ناسي الذنب	خير	الإخوان
تارك الذنوب	أشد	الناس المجتهدين
تارك الحرام	أزهّد	الناس
مقيم الفرائض	أعبد	الناس
الواقف عند الشبهة	أورع	الناس
الحقود	أقل	الناس راحة

فمن شأن هذه الاستراتيجية أن تقدم فيها آخر منتجاً للخطاب بلحاظ مكوناتها

وأركانها وسماتها البنائية، وأهم مرتكزات التحليل والقراءة فيها:

- استعمال صيغة اسم التفضيل المضافة إلى المعرفة في جميع الأحاديث، وفي ذلك إشارة واضحة لجنس المخاطبين وفتنهم، لاسيما أن الإمام يستعمل بكثرة لفظ (النَّاس) مضافاً إلى اسم التفضيل؛ مريداً بذلك دلالة عموم البشر، سواء كان المُخاطَب من أهل الدين أو من عموم الخلق، مما يؤكِّد إنسانيَّة المضامين.

- تظهر ذوات التفاضل في عموم الأحاديث، وتحديدًا (المفضَّل) صفاتٍ ك(المُظْهِر، الناسي، التارك، المقيم...) أكثر منها أعلاماً أو أسماءً محدَّدة؛ لأنَّ المعنَى في الخطاب فعل الخطاب وصفته بغضِّ النظر عن تسمية المُخاطَب أو المُخاطَب.

- اضطلاع المنهج التداولي بالآياتِ ووسائل لقراءة هذه الاستراتيجية بنحوٍ يناسب مُسوِّغاتها وسماها البنائية ومقاصدها الدلالية المتنوعة بتنوع آيات هذه القراءة.

ثالثاً: الاستراتيجية البيانية:

تستند هذه الاستراتيجية إلى سياقات اجتماعية عامَّة في أبعادها التكوينية، يُركِّز فيها منتج الخطاب على ثيمات نفسية أخلاقية وعظيمة تأخذ أولويات مُقدَّمة لِلْفَتِ اهتمام المخاطب إليها، والتعاطي معها بوصفها خطاباً مُتنوعاً (إغرائياً) أو (تحذيرياً)، معتمداً على بنية لغوية لفظية باستعمال حرف الجر (من) بوصفه وحدة تركيبية موطَّئة لخطابٍ بيانيّ يكشف عن العلاقة السببية الترابطية بين لفظٍ وآخر تالٍ، يكون الثاني جنساً في الأول، وسبباً في إنتاجه، وبعضاً منه، فما تتحصَّل عليه دلالة الحرف (من) من معانٍ: " تجيء " من " للتبعيض، ولبيان الجنس... فمثالها للتبعيض قولك: " أخذت من الدراهم " ومنه قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ) سورة البقرة: ٨. ومثالها لبيان الجنس قوله تعالى: (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) سورة الحج: ٣٠. " (٣٥) كان سبباً في تأليف هذه الاستراتيجية، وللتدليل عليها بمثال: قول الإمام العسكري عليه السلام: " مِنْ الْجَهْلِ الصَّحِيحُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ". فنلاحظ أن هذا اللون

من الخطاب الوعظيّ الإبلاغي يريد منه المخاطب أن يصنّف حالة غير تأدبّيّة عامة تمارسها جماعة من النَّاس وهي الضَّحْك بلا مُسَوِّغ، وفي بعض الاستعمالات الشائعة التي جرت مجرى الأمثال قولهم: ضحك بلا سبب من قلة الأدب، ونسبة الإمام هذا النوع من الضحك إلى الجهل قد يُعدُّ ذلك ضرباً من الجنون؛ لأنّه يجري خلاف العقل الذي يُقدِّر الأسباب وراء أفعال النَّاس وانفعالاتهم، فكأنَّ الإمام العسكريّ (عليه السلام) أراد بهذه الاستراتيجية تقديم حقيقة عامّة للمستهدفين من هذا الخطاب، تعالج مشكلة اجتماعيّة مشخّصة أو مرصودة في المجتمعات من طريق إضفاء الوصف النابذ المتضمّن معنى القدح والنقص البشري؛ للمبالغة وحمل المخاطب على الرجوع والارتداد عن هذا الفعل غير السوي، فعلاقة الضحك بالجهل ليست علاقة تلازميّة بل هي علاقة استدلالية غير مباشرة، تربطها قرينة عقلية استنتاجية تُقدّم حكماً عاماً بعد استيفاء المُسوِّغات المطلوبة.

مسوغات الاستراتيجية البيانية:

لهذه الاستراتيجية عدد من المُسوِّغات يمكن إجمالها على النحو الآتي:

- الجميع بين ما لا ترابطاً أو علاقةً مباشرةً بينها من طريق قرائن عقلية استنتاجية، وهذا يمثل إنتاجاً مغايراً قد يُؤسس لحقولٍ دلاليّةٍ جديدة.
- تُهيئ هذه الاستراتيجية للإخبار عن مضامين ذات شأنٍ دلاليٍّ عالي القيمة أو منخفض درجة القيمة.

- تحافظ هذه الاستراتيجية على علاقة متوازنة بين المرسل والمرسل إليه تحمل في طياتها روح التضامنيّة ودرجة من التوجيه المقبول.

من المقولات أو الأحاديث التي تمثل مصداقاً لهذه الاستراتيجية (٣٦):

- قال الإمام العسكري عليه السلام: "مِنَ الْفَوَاقِرِ الَّتِي تَقْصِمُ الظَّهْرَ جَارٍ إِنْ رَأَى حَسَنَةً أَخْفَاهَا، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَفْشَاهَا".

قال الإمام العسكري عليه السلام: "مِنَ الْجُهْلِ الضَّحِكُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ".

قال الإمام العسكري عليه السلام: "مِنَ التَّوَاضُّعِ السَّلَامُ عَلَى كُلِّ مَنْ تَمَرُّ بِهِ، وَالْجُلُوسُ دُونَ شَرَفِ الْمَجْلِسِ".

قال الإمام العسكري عليه السلام: "مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي لَا تُعْفَرُ: [الَّتِي يَقُولُ فِيهَا الْإِنْسَانُ] (لَيْتَنِي لَا أُؤَاخِذُ إِلَّا بِهَذَا)".

المنتج أو المرسل أو المخاطب هو واحد (شخصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام) والمرسل إليه أو المخاطب: مستقبل الخطاب، وهو كل من يعنيه الخطاب قصدياً:

ويمكن استخلاص ملفوظات هذه الاستراتيجية على النحو الآتي:

الوحدة البيانية العامة	الدلالة المنتجة
من الفواقير القاصمة	الجار الحاسد
من الجهل	الضحك بلا مسوغ
من التواضع	السلام على الجميع والجلوس في مؤخرة المجلس
من الذنوب الثابتة	الانتقائية في الندم على ذنب دون سواه

مرتكزات القراءة والتحليل التي يمكن أن تُعتمد في هذه الاستراتيجية:

- أثر أسلوب التقديم والتأخير بأشبه الجمل (من ...) وغرضه المقصدي في بناء أسس هذه الاستراتيجية

- تضمن معنى البيانية والتبعية في حرف الجر (من) للكشف عن أن جزءاً من الدلالة العامة منتج لدلالات جديدة خصصت بالاستدلال والاستنتاج والربط بحسب القرائن السياقية.

- اضطلاع المنهج التداولي بآليات ووسائل لقراءة هذه الاستراتيجية بنحو يناسب مسوغاتها وسماتها البنائية ومقاصدها الدلالية.

الاستراتيجية الحدّية أو المعيارية:

وهذا الضرب من الاستراتيجية انتهج فيه الإمام العسكري عليه السلام طريقة وضع الحدود أو المعايير الدقيقة في وصف عدد من المسمّيات الرمزية، وخلاف هذه الحدود أو المعايير المرسومة تتحوّل دلالات هذه المسميات، وتنقلب إلى ما يشبه الشيء وضده، معتمداً في تأليف هذه الاستراتيجية على القوة التوكيدية في الحرف (إنّ) الذي يعد من ألفاظ التوكيد الناسخة للجمل الاسميّة، والمقويّة لمضامينها الأسلوبية ^(٣٧) واللام شبه الملكية المصاحبة لخبثها المتقدم بوصفه نسقاً توكيدياً آخر، وهذه اللام تستعمل لشبه التملك كالتي ترد في الذوات غير العاقلة نحو قولهم (الجُلُّ للفرس) و(البابُ للدّار) ^(٣٨) على نحو من التملُّك المجازي والجملّة الشرطية المصدرة بحرف الشرط (إنّ) وفعله الماضي، وجوابه الواقع جملةً اسميّةً مصدرة بفاء الجزاء، فقد يتوقّف جواب الشرط على فعله في نحو من الترابط بينهما ^(٣٩) كما هو الحال في هذه الاستراتيجية، فعلى سبيل التلّيل على هذه الاستراتيجية نورد شاهداً حديثاً يُعدُّ أنموذجاً لهذه الاستراتيجية التخاطبية: يقول الإمام العسكري عليه السلام: "إنّ للسّخاء مقدّاراً فإنّ زادَ عليه فهو سرفٌ". فتلحظ أنّ الإمام وضع معياراً لحد السخاء، ألا وهو (الاعتدال) من دون أن يُفصّل في توصيفه، معوّلاً على وعي المخاطب أو المُستهدف بالخطاب، ومعبراً عمّا ينتهك حدود الاعتدال بما يمكن وصفه بـ(المبالغة) المفهومة من لفظ الفعل (زاد) في السّياق اللغوي الشرطي، فأية زيادة في (السخاء) تعدّ مبالغةً تُحوّل معناه إلى (سرف)، لذا يمكن أن نستشفّ من هذه الاستراتيجية جملة مسوغات وراء اجتراحها.

مسوغات الاستراتيجية الحدية أو المعيارية:

- تضع هذه الاستراتيجية حدًا فاصلاً بين الشيء ومقداره وما يفصل بين معناه القيمي والمعنى الضدي.

- تحمل هذه الاستراتيجية قدرًا مُتَزَنًا من التأثير والإقناع لدفع المخاطب على التعاطي أو المنع مع المعنى المُحدّد المطلوب أو ما يزيد عنه.

- تضمّن هذه الاستراتيجية بُعدًا تنظيميًا وإرشاديًا تَثْبِيغِيًّا يسهم في التنمية الحيويّة للمجتمع المدرك للثوابت القيمية.

من المقولات أو الأحاديث العسكرية التي تمثل مصداقًا لهذه الاستراتيجية (٤٠):

قال الإمام العسكري (عليه السلام): "إِنَّ لِلشَّجَاعَةِ مِقْدَارًا، فَإِنْ زَادَ عَلَيْهِ فَهُوَ تَهَوُّرٌ".

قال الإمام العسكري (عليه السلام): "إِنَّ لِلْاِقْتِصَادِ مِقْدَارًا فَإِنْ زَادَ عَلَيْهِ فَهُوَ بُخْلٌ".

قال الإمام العسكري (عليه السلام): "إِنَّ لِلْحَزْمِ مِقْدَارًا فَإِنْ زَادَ عَلَيْهِ فَهُوَ جَبْنٌ".

قال الإمام العسكري (عليه السلام): "إِنَّ لِلسَّخَاءِ مِقْدَارًا فَإِنْ زَادَ عَلَيْهِ فَهُوَ سَرْفٌ".

ملفوظات هذه الاستراتيجية:

المنتج أو المرسل أو المخاطب هو واحد (شخصية الإمام الحسن العسكري (عليه السلام))

والمُرسل إليه أو المُخاطَب: مستقبل الخطاب وهو كل من يعنيه الخطاب قصدًا:

حد التسمية	المعيار	ما يزيد عن الحد	المعيار
الشجاعة	الاعتدال	التهور	المبالغة
الاقتصاد	الاعتدال	البخل	المبالغة
الحزم	الاعتدال	الجبن	المبالغة
السخاء	الاعتدال	السرف	المبالغة

مرتكزات القراءة والتحليل التي يمكن أن تعتمد في هذه الاستراتيجية:

- تعدّد السياق التوكيدي للاستراتيجية في ترسيم الحد المقرر للتسمية يكشف عن تماسك خطاب الإمام العسكري وقوّة مضامينه.

- دقة بناء السياق الشرطي وملاءمته لتوصيف ما زاد عن المعيار أو الحد المقرر للتسمية وجعله خطاباً توقيفياً؛ بناءً على مدى تحقق معيار المبالغة أو الزيادة من عدمه.
- استعمال الفعل (زاد) فعل الشرط بنحوٍ متكررٍ، مما يُشعر بقصدية استعمال الفعل معياراً دقيقاً للتسمية التي تزيد على الحد المقرر.
- استعمال الجمل الاسمية المصدرية بالضمير المنفصل (هو) في جواب الشرط تكشف عن قوة دلالة الخطاب وحتمية التسمية.
- اضطلاع المنهج التداولي بآليات لقراءة هذه الاستراتيجية بنحو يناسب مسوغاتها وسماتها البنائية ومقاصدها الدلالية.

الختامة:

في ضوء ما تقدم من عرض علمي يمكن إيجاز أبرز النتائج التي توصل إليها
البحث بنقاط:

١- ارتباط تصنيف استراتيجيات خطاب جديدة بمقصدية الخطاب وسلطته
فضلا عن معايير التصنيف.

٢- حضور مقصدية الخطاب لدى الإمام العسكري عليه السلام وكفاءته اللغوية
العالية في إيصال أهدافه الأخلاقية والاجتماعية والإرشادية والتنموية الماثورة في
عموم أحاديثه المطهرة.

٣- توافر الإمكانيات ومعايير التصنيف في الخطاب الوعظي لدى الإمام
العسكري عليه السلام، ممّا يرقى به أن يكون مُصنفاً على وفق استراتيجيات ذات مقاصد
وظيفية تواصلية متعددة.

٤- استطاع البحث استنباط أربع استراتيجيات خطاب جديدة في خطاب
الإمام العسكري عليه السلام، موضحاً مسوغات اجتراف كلّ استراتيجية ومرتكزاتها في
التحليل والقراءة

٥- الاستراتيجية الجزائية وتستمد قوتها من النص القرآني وتعاليم السنة
النبوية المباركة. إذ إن منهج الجزاء والمكافأة منهج قرآني، وتعد استراتيجية موجهة
للمخاطبين للالتزام بالأوامر والنواهي الإلهية. وتعمل على ترسيخ العظة في نفوس
المخاطبين ترغيباً وترهيباً.

٦- الاستراتيجية التفاضلية وتمثل خطاباً تأثيرياً إقناعياً يدفع المتلقي أو المخاطب
على اتباع الأفضل أو المرجوح في الخطاب، فضلاً عن كونها صورة كاشفة للنظر
والترجيح في الخطاب.

٧- الاستراتيجية البيانية: من الاستراتيجيات المنتجة للدلالة وتعمل على تأسيس حقول دلالية جديدة تقوم على عوامل ربط عقلية استنتاجية، وتحافظ هذه الاستراتيجية على علاقة متوازنة بين المرسل والمرسل إليه تحمل في طياتها روح التضامنية ودرجة من التوجيه المقبول.

٨- الاستراتيجية الحدّية أو المعيارية وتحمل هذه الاستراتيجية قدرًا مُتزنًا من التأثير والإقناع لدفع المخاطب على التعاطي أو المنع مع المعنى المحدد المطلوب أو ما يزيد عنه. وتعمل على وضع حد فاصل بين الشيء ومقداره وما يفصل بينه وبين معناه القيمي.

توصية:

لا يزال البحث في تراث أهل البيت عليه السلام ونتاجهم المعرفي بحثًا خصبًا ويتوافر على مُمكّنات لغوية، وعلمية متنوعة في مختلف المجالات والآداب والعلوم، لاسيما في مجال صياغة أو إنتاج استراتيجيات خطاب، فإذا ما وقفنا على الكنوز المعرفية الكبيرة عند أئمة أهل البيت عليه السلام، بدءًا من أمير البلاغة والمتكلمين الإمام عليّ ومرورا بالأئمة الاثني عشر عليه السلام سنجد منظومة قيمة تضطلع بفكر إنساني مشرق، وبها حاجة لمد يد البحث والتنقيب والقراءة من الباحثين، وليس الإمام العسكري عليه السلام إلا كوكبًا دُرّيًّا في محضر النور المحمدي المبارك، وتعدّ تجربته صورة مشرقة من صور آباءه السابقين التي كشفت بامتياز عن جدارة فكرية، وروح إيمانية تضطلع بروح القيادة والرّشاد والهدى والصالح للأمة على الرغم من قصر امتداد عمره الشريف وإمامته المباركة. فسلام على الإمام الحسن العسكري عليه السلام يوم ولد، ويوم هدى وأصلح، ويوم استشهد في سبيل الله تعالى.

هوامش البحث:

- ١-مدخل إلى علم لغة النص: ٢٦٩.
- ٢- ينظر: المصدر السابق: ٢٦٩.
- ٣- استراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية": ١٨٠-١٨٣-٢٢٠-٢٢٢
- ٤- المصدر السابق نفسه: المقدمة أ.
- ٥- ينظر: المصدر السابق نفسه: ٣٧.
- ٦- ينظر: التداولية وتحليل الخطاب "نحو تحليل جديد لجنس المقامة في الأدب العربي، د.محمود طلحة، منشور ضمن التداوليات وتحليل الخطاب: ٢٠٩-٢١٠
- ٧- ينظر: تحليل الخطاب " مفاهيم نظرية ونصوص تطبيقية: ٩-١٠. و: استراتيجيات الخطاب: ١٢.
- ٨- ينظر: استراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية": ٨٨
- ٩- اللغة وسايكلوجية الخطاب: ١٥.
- ١٠- العين، مادة: (وَلِيَّظ).
- ١١- الصحاح، مادة: (وعظ).
- ١٢- الخطاب الوعظي النبوي "دراسة تحليلية بلاغية": ١٧.
- ١٣- الأسلوب والأسلوبية: ٣٩.
- ١٤- ينظر: الخطاب الوعظي النبوي "دراسة تحليلية بلاغية": ١٤.
- ١٥- ينظر: تحليل الخطاب " مفاهيم نظرية ونصوص تطبيقية": ١١٧-١١٨.
- ١٦- ينظر: في بلاغة الموعظة الدينية، محمد مشبال، بحث منشور ضمن كتاب البلاغة وأنواع الخطاب: ١٣-١٤.
- ١٧- ينظر: حديقة الشيعة ٥٩٢.
- ١٨- ينظر: المظهر التداولي لأسلوب الشرط في النحو العربي: ٩-١٠.
- ١٩- مسند الإمام العسكري أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام: ١: ٢٩٠
- ٢٠- مسند الإمام العسكري أبي محمد الحسن بن علي: ١: ٢٨٩
- ٢١- مسند الإمام العسكري أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام: ١: ٢٨٩
- ٢٢- مسند الإمام العسكري أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام: ١: ٢٨٨
- ٢٣- مسند الإمام العسكري أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام: ١: ٢٨٧
- ٢٤- مسند الإمام العسكري أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام: ١: ١٤٦
- ٢٥- مسند الإمام العسكري أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام: ١: ٢٨٤

- ٢٦- مسند الإمام العسكري أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام: ١: ١٢٥
- ٢٧- مسند الإمام العسكري أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام: ١: ٢٨١
- ٢٨- ارتشاف الضرب من لسان العرب: ٥: ٢٣١٩.
- ٢٩- التسمية التي أطلقها بعض النحويين كابن يعيش في شرح المفصل: ٤: ١٢٠.
- ٣٠- التسمية التي أطلقها السيوطي في الأشباه والنظائر في النحو: ٤: ٧٩.
- ٣١- ينظر: صيغة أفعال التفضيل في القرآن الكريم "دراسة نحوية": ٢٨٠.
- ٣٢- ينظر: لسان العرب، مادة: (ج ه د).
- ٣٣- ينظر: استعمالات صيغة (أفعل) التفضيل في المثل العربي: ١٦٩-١٧٠-١٧٣.
- ٣٤- مسند الإمام العسكري أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام: ١: ٢٨٣
- ٣٥- شرح ابن عقيل: ٣: ١٥.
- ٣٦- مسند الإمام العسكري أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام: ١: ٢٨٢
- ٣٧- ينظر: دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم،: ٢٣٢.
- ٣٨- ينظر: شرح ابن عقيل: ٣: ٢٠.
- ٣٩- ينظر: دلالات الارتباط في أسلوب الشرط "دراسة في نصوص صحيح البخاري": ٣.
- ٤٠- مسند الإمام العسكري أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام: ١: ٢٨٧.

قائمة المصادر والمراجع:

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الشهري، عبد الهادي بن ظافر. ٢٠٠٤م. استراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية". دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى.
- ٣- الأندلسي، أبو حيان. ١٩٩٨م. ارتشاف الضرب من لسان العرب، (ت ٧٤٥هـ): تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي - القاهرة. الطبعة الثالثة.
- ٤- المسدي، الدكتور عبد السلام. (د.ت). الأسلوب والأسلوبية. الدار العربية للكتاب طرابلس. الطبعة الثالثة.
- ٥- السيوطي، جلال الدين. ١٩٨٥م. الأشباه والنظائر في النحو، ت ٩١١هـ: تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الأولى.
- ٦- طنّوس، د.جان نَعوم. ٢٠١٤م. تحليل الخطاب "مفاهيم نظرية ونصوص تطبيقية"، دار المنهل اللبناني. الطبعة الأولى.
- ٧- ٢٠١٤م. التداوليات وتحليل الخطاب: إشراف: د. حافظ إسماعيل علوي، ود. منتصر أمين عبد الرحيم. دار كنوز المعرفة العلمية. الطبعة الأولى.
- ٨- أردبيلي، مقدس. (ت.ت). حديقة الشيعة: تصحيح: صادق حسن زادة، (د.ط.).
- ٩- ابن عقيل، شرح. ١٩٨٠م. (ت ٧٦٩هـ): تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث القاهرة. الطبعة العشرون.
- ١٠- ابن يعيش، موفق. ٢٠٠١م. شرح المفصل، (ت ٦٤٣هـ): تحقيق: أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى.
- ١١- الجوهري، أبو نصر إسماعيل. ١٩٨٧م. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت ٣٩٣هـ: تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الرابعة،
- ١٢- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (د.ت). العين، (ت ١٧٠هـ): تحقيق، د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال. دون طبعة.
- ١٣- مشبال، محمد. ٢٠١٧م. في بلاغة الموعظة الدينية، بحث منشور ضمن كتاب البلاغة وأنواع الخطاب، بإشراف صاحب البحث نفسه. دار رؤية للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى.
- ١٤- الأفريقي، ابن منظور. (د.ت). لسان العرب، (ت ٧١١هـ)، دار المعارف. (د.ط.).
- ١٥- استيتية، د. سمير شريف اللغة. ٢٠٠٢م. وسيكولوجية الخطاب. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- ١٦- هاينه مان، فوفلفجانج. ديتر فيهفيجر. ٢٠٠٤م. مدخل إلى علم لغة النص: ترجمة: سعيد حسن البحيري. مكتبة الزهراء الشرق. الطبعة الأولى.
- ١٧- العسكري، مسند الإمام أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام. ١٤١٠هـ. المؤلف: الشيخ عزيز الله

- العطاردي: الناشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، قم.
الرسائل والدوريات:
- ١- أبو دية، عماد حسن. ٢٠٢١م. استعمالات صيغة (أفعل) التفضيل في المثل العربي، دراسة تداولية في مجمع الأمثال للد(ميداني ت ٥١٨ هـ (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة مؤتة الأردن.
- ٢- أحمد، أحمد آدم. ٢٠١٢م. الخطاب الوعظي النبوي" دراسة تحليلية بلاغية". رسالة ماجستير. جامعة أم درمان الإسلامية.
- ٣- عبيزة، عائشة. ٢٠٠٨-٢٠٠٩م. دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم. رسالة ماجستير. جامعة الحاج لخضر بباتنة- الجزائر.
- ٤- رزوقي، أبو بكر. ٢٠١٠م. دلالات الارتباط في أسلوب الشرط" دراسة في نصوص صحيح البخاري". مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية. العدد السادس.
- ٥- الجدبة. مهرة، د. أحمد إبراهيم وأ. بسام حسن. ٢٠١٢م. صيغة أفعل التفضيل في القرآن الكريم "دراسة نحوية"، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية. المجلد العشرون. العدد الثاني.
- ٦- إجميدة، أسامة إبراهيم عمر. ٢٠١٨م. المظهر التداولي لأسلوب الشرط في النحو العربي، مجلة كلية اللغات. جامعة طرابلس العدد: السابع عشر.